سلسلة القصة العربية المعاصرة (132)

وتغيبُ بعضُ الوجوهِ

11 قصة قصيرة

جمال الجزيري

دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني

سلسلة القصة العربية المعاصرة (132)

سلسلة تصدر عن دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني

المؤلف: جمال الجزيري

العنوان: وتغيبُ بعضُ الوجوهِ: 11 قصص قصيرة

التصنيف: قصص قصيرة [قصة، أدب عربي معاصر، فن السرد]

الطبعة الأولى: فبراير 2016

تصميم الغلاف: المبدع محمود الرجبي

تصميم الكتاب ومراجعته لغويا: د. جمال الجزيري

الناشر: دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني

دار نشر إلكترونية مجانية لا تهدف للربح

للمراسلة لنشر أعمالكم في السلاسل المختلفة التي تصدرها الدار، الرجاء قراءة التعريف بمجموعة دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني لمعرفة مواصفات تجهيز الملف:

https://www.facebook.com/groups/Ketabat.Jadidah.Ebook.Publishers/

وإرسال الملف وفقا لشروط النشر على إيميل د. جمال الجزيري أو على الخاص في صفحته على الفيسبوك:

elgezeery@gmail.com

https://www.facebook.com/gamal.elgezeery

إِشَارَةْ

كتبت قصص هذه المجموعة في الفترة 2005-2007.

تنتاب نظراتك وجوه

تنتاب نظراتك وجوهٌ، تدوس برفق على مقلتيك وتهمس لك بكلمات أغانٍ قديمة وحديثة عن الفراق والسفر، تعرف أن الموقف أقوى منك، تتظاهر بالثبات، تربِّتُ على كتف هذا، تحتضن ذاك، تبتسم في وجه آخر، تدرك أن حركاتك عصبية، تنتحي بهم جانبا في صالة المطار وتشرعون في همس كلمات لحنان ماضي أو محمد منير أو مارسيل خليفة أو أنغام أو صباح فخري أو... قاسمكم المشترك، تعاودكم أغنية صباح فخري التي كنتم تشاهدونها في السيارة في طريقكم للمطار، تبصر دمعة تغرورق في عين أحدهم، ترفع صوتك:

- ها هي الدموع تتشاجر في عينيه، لا يحتمل الفراق، لا يطيق لحظات الوداع، يحس بأن الأرض تتهاوى تحت قدميه، يميل بعينيه جانبا مخافة أن تلتقي العيون.

يضربك بالكتاب الذي في يديه مبتسما:

- والله فراقكم يحِزُّ في قلوبنا

- لا تبتئس يا صديقي، قدري، وقد يكون قدرك بعدي.

دقائق لا تريدونها تمرُّ، تتمنون أن يتأخر السماح لك بالدخول أو تتأخر طائرتك، ولكن مكبِّرَ الصوت ينادي، لا بد من الرحيل، ها أنت تخونهم وترحل، ما بيدي شيء، سُنَّة جمع المال، على الأقل سَنَة لتسديد الديون، بعدها قد تفكر في الأمر، تحتضنهم جميعا، تتمنى لو تحتفظ بهم في حضنك حتى صعود الطائرة، تراوغ مكبر الصوت وتخرج خارج الصالة، تدخن سيجارة معهم بالرغم من أنك لا تدخن السجائر، تستنشق الدخان بعمق، تملأ رئتيك من هواء مطار القاهرة، تعرج بعدها إلى الصالة.

تجر حقائبك، تمسك بك زوجتك بيد، وتحتضن بنتكما الصغرى بيد، وتمسك بنتكما الكبرى بطرف حقيبة، أول مرة تسافر، تسأل عن الإجراءات، عليك أن تذهب إلى الميزان أولا، تمسك ببطاقاتكم وتذهب إلى الضابط:

- أين المدام والأولاد؟

- عند الحقائب

- لا بد أن أراهم كي أختم لك

تعود، تجر حقيبة اليد، تعلق حقيبة الكتف، وتسير بهم، يختم لك، تصعدون السلم.

- عليكم بالانتظار في الصالة العلوية حتى ننادي عليكم

لحظات تمرُّ، عليك الانتظار لساعة ونصف، لا تفهم سبب الإصرار على الحضور مبكرا رغم سهولة الإجراءات:

- عايزة مَيَّة يا بابا

- حاضر يا حبيبتي

زجاجة الماء الصغيرة بخمسة جنيهات، أولى خطوات النصب، خمسة وسبعون قرشا تتحول إلى خمسة جنيهات! لا مفر، تشتري زجاجتين، ينادي مكبر الصوت:

- عليكم بالانتظار في الصالة الداخلية

تبحث عن تليفون، تُدْخِلُ الكارت، تكِّلم إخوتك الساهرين وأصدقاءك الذين ربما كانوا مازالوا منتظرين بصالة المطار:

- فرغتُ من الإجراءات وفي انتظار الطائرة، عندما أصل وأشتري خط تليفون سأتصل بكم

تعود إلى زوجتك وبنتيك، تحمل البنت الصغرى وتجلس بجانب الحقيبتين، تعطي زوجتك الكارت لتتصل بحماتك، تسيرون في الطابور حتى باب الطائرة، تدلكم المضيفة على مكان مقاعدكم، تلقون نظرة أخيرة من النافذة قبل أن تحلِّق الطائرة في الهواء.

يعود عقلك الذي كان منشغلا بتجربة السفر الأولى إلى السعي والدوران:

- صورة جماعية يا جماعة، "التصوير الأخير"

تصطفون وتلتصقون ببعضكم كي لا يخرج أحد عن الكادر، تلتهمون كل ما تبقى من عنب وتفاح وموز في نهمٍ، تأتون على باقي السندوتشات، ربما كان "العشاء الأخير"، تشغِّلون على الكمبيوتر باقة من أغانيكم المفضلة، تَسْتَرِقُ العيونُ النظرَ خلسةً، كل منكم يحاول الإمساك بلقطةٍ قد يعيش عليها كثيرا، تحسون بنشيج في أصواتكم، تحاولون أن تداروه بالتماسك، تصعد زوجتك بما تبقى من أشياء إلى جارتكم:

- ما حاجتنا بها! دعواتكم لنا عندما تصلون، السلام أمانة للحبيب المصطفى، وادع للأولاد بالتوفيق في الجامعة وللولد الكبير بالوظيفة والعروسة
- لا تنسي أن تسدِّدي إيصالات الكهرباء والماء، لو خلصت الفلوس رنِّي لي وأنا أتصل بكِ وأبعث أحدا من شلة زوجي إليكِ

يساهمون جميعا في حمل الحقائب إلى السيارات الثلاث لأصدقائك، سنسير في صلاح سالم، ولو افترقنا

سنكون على اتصال، صديقك لا يحتمل اللحظة ولو أنه تيقن أنك لن تغضب منه لما جاء ليوصلك بسيارته، يظل صامتا على عجلة القيادة، وعندما يخرج عن صمته يعطيك بعض النصائح، ترد عليه بنصائح مثلها، كأن حياتكما وعلاقتكما تركزت في تلك اللحظات، تراهم في السيارة الأخرى، يضعون اللاب توب أمامهم بالسيارة ويشغلون حفلة صباح فخري، للمرة الأولى يدور صباح فخري في شوارع القاهرة وللمرة غير الأولى تدور نشوة الطرب في هذه الشوارع، كنتم تجوبون شوارع السيدة، بل السيدات، زينب، عائشة، نفيسة، سكينة، شوارع القلعة، تترنمون بالحياة، الفن، المستقبل،كنتم....

وها أنتم تجوبون شوارع أخرى، لكنكم لن تعودوا جميعا، ستفقدون واحدا، واحدا فقط حتى الآن، من يدري؟ تنهال عليكم المكالمات ممن لم يتمكَّنوا من المجيء، الانتخابات صباح الغد، وكلٌ لجنتُهُ في مكان، لا بأس، ففي حميمية الصوت ما يكفي، لا يملك الواحد تحركاته، من كان

يدري أنك في خلال شهرين ستتعاقد وتسافر؟ من التالي؟ بالأمس كانت محطة القطار نقطةَ التقاءٍ ووداعٍ، يبدو أن القطارات صارت موضةً قديمةً، صارت المطارات جزءا من حياتكم، اليوم تستقبلون أحدكم، غدا تودعون آخر، لا يسمح الضابط بتوقف السيارات أمام الصالة، تُنْزِلُون الحقائبَ بسرعة وتنصرف السيارات لتركن في الموقف، تقفون أمام الصالة، تنتاب نظراتكم وجوه بعضكم البعض، تحبسون دموعا تحاول التمرد، يحاول كل منكم أن يتكلم كثيرا كي لا ينشغل عقله بشيء، تختلط البسمات بالنظرات الجانبية بمحاولات التماسك بكلمات حميمة، وتغيب بعض الوجوه.

31 يناير 2006

جانبُ الطريقِ

يصدمك الجو بحرارته بعد خروجك، لا تحب قيادة السيارة حتى الحرم، الفرصة الوحيدة للمشي، كلها ربع ساعة، تستغرب للرجال والنساء الواقفين أو الجالسين أمام المحلات التي بدأت تغلق أبوابها، تتوارد على أذنيك أصوات رجال الهيئة بسياراتهم:

- الصلاة، دع ما في يدك واذهب للصلاة ..

تندهك أضواء مسجد بلال، هكذا أنت دائما:

- ما ذنبي؟ الصلاة هناك بألف صلاة، التجارة مع الله يا بلال

تسرع الخطى كي لا تفوتك ركعة، كل مرة تفكر في العروج إلى ذلك المسجد الصغير بجانب الحرم، يناديك بزجاجه المعشّق ونقوشه، يناديك بوقوفه على جانب الطريق من الجهة الأخرى، كل مرة تفكر، صار تفكيرك حنينا، حنينا لشيء تحس أنه ضاع منك، لصلاة تحس أنك في حاجة إليها،

تعاودك مجلة الهامش التي اقترحها صديقاك سراج ونجاح ذات يوم، وهل تضيّع ألف صلاة؟ ما أحوجك إليها! ربما تعوض بها بعض ما فاتك في أشهر العناد، أشهر الظن الأحسن من اللازم، الحُسْنُ الذي يقارب الضلال، في أوقاتكم حق معلوم...

تسارعون الخطى لصلاة الفجر في جامع السيدة زينب، تخلعون أحذيتكم، يقول لكم العامل إن مكان الوضوء في الخلف، تضعون أرجلكم في أحذيتكم، تمشون في الفجر مئات الأمتار، لا تجدون شيئا، فتلبسونها، تلعنون أعمال الصيانة والترميم وتنصرفون...

يقترح أحدكم أن تصلُّوا الفجر في مسجد السيدة نفيسة، كيف ستصلون إليه من بين السرايات في ذلك الوقت؟ ما هناك وقت! ما هناك مواصلات! تشرعون في الجري دون أن تعبأوا بالنظرات القليلة المستغربة، دون أن تلتفتوا لرجال الشرطة...

الحمد لله، لم تُقَم الصلاة بعد، تدلف من باب الملك سعود، تصلي ركعتين تحية للمسجد وتجلس تسبيحا، ألم أقل لك إنك موزع بين الدروب، تتناصفك المشروعات، تتقاسمك الرغبات؟ لِمَ لا تخشع في صلاتك؟ صوت الإمام جميل وخاشع، وها أنت تفكر في قصتك، تفكر في ذلك المسجد الصغير، تفكر في مسجد بلال، تفكر في أبيك الذي مات ولم يكن يصلي، مع كل حركة فكرة، تتناقلك الحركات، تستغرب أن المنادي لم ينادِ على صلاة الجنازة حتى الآن، فيقطع عليك استغرابك:

- الصلاة على المرأة يرحمكم الله

ما عدت تتذكر الطقوس، أستقرأ في الركعة الأولى الفاتحة؟ هذه أذكرها جيدا، وفي الثانية الجزء الثاني من التشهُّد، وفي الثالثة الدعاء لها ولأموات المسلمين، الرابعة قصيرة جدا، ربما لا يكون فيها شيء على الإطلاق...

تقف صامتا خاشعا حزينا أمام الجامع بقريتك. تترك يدك لمن يعزّيك في أبيك، وعندما ينادي الإمام للصلاة،

تدخل. تذكر أنك توضأت. لكنك لا تعرف ماذا ستقول. لا بأس. صلاة الجماعة مريحة. المهم ألّا تترك أباك دون صلاة هو في حاجة إليها...

تذكر أنك سألت قريبا لك السنة الماضية عن صلاة الجنازة، مادامت ذاكرتك لا تلتقط التفاصيل هكذا لِمَ تكتب القصص أساسا؟ لِمَ لم توفِّر على نفسك عناءَ التذكُّر وتتَّجه إلى الشعر من البداية؟ ألا تذكر من قال إن ذاكرة الروائي ذاكرة فوتوغرافية تختزن كل التفاصيل وذاكرة الشاعر ذاكرة... ماذا قال؟ أقال ذاكرة توفيقية، توليفية؟ ذاكرة لا تحتفظ إلا بالخلاصة والانطباع المترسب عن الأشياء، إذن عليّ أن أكون هنا في برزخ آخر، لا إلى هذه ولا إلى ذلك، مرج الشعر والقصص يلتقيان، دائما تسحرك آية، بديع ذلك التعبير القرآني، كلما تأملت في الصياغة تزداد انبهارا، هل البنات إذن روائيات من الدرجة الأولى؟ ألم تقل عنهن سعاد حسني "ذاكرات فوتوغرافية"؟

ربما كانت نتيجة بحث عن طريق الخطأ، وربما ألقاها محرّك البحث علامة بين يديك، فأخذت تبحث عن نتائج مشابهة، أساليب الاتصال بين الرجل والمرأة، وربما كانت التواصل، الاتصال أفضل لأنه لا يعني حدوث التواصل، وأخذت تجوب النت سعيا للفهم، سعيا للتواصل...

سوء الفهم يرجع دائما إلى العجز عن ترجمة لغة الآخر:

- فلنكن أصدقاء أحسن، ها هو رقم هاتفي، عندما تفرغ من ترجمة المقالة اتصل بي.

عندما تفرغ من الترجمة تأخذ المقالة معك لتعطيها لها في محاضرتكما. تدرك أنك مازلت تلميذا في الترجمة، مازلت منغلقا على كتبك وأوراقك، مازالت الأبواب التي ظننت أنك فتحتها على الحياة مغلقةً، مازالت مغلقة يا صديق، وأنت من تتحمل وِزْرَ إغلاقها...

وصل التوتر مع رئيس القسم اليوم إلى أقصى درجة، قال لي لا بد أن أعيد كتابة وتوزيع جدول الاختبارات، وعندها قلت له:

- لن أعيده، لقد اتفقت معك مُقَدَّمًا على كل شيء، واستشرتك في وضع 24 طالبا في القاعة، كيف تأتي الآن وتطالبني أن أعيده، وقد قضيت في إعداده أكثر من 35 ساعة؟

أمرني أن أسلم الجدول الأربعاء، لن أسلمه إلا يوم السبت حتى ولو فرغت منه اليوم. ...

- لِمَ لم تحضر لي سيارة يا أبي؟ أريد أن أسوق مثلك،
- مثلكِ لا يسوق هنا
- أنا عاوزة سيارة
- طيّب طلّعي أنت الرخصة وأنا أشتري لك السيارة غدا

تقولها مازحا، ارجع يا فتى!... إن أصررت على العناد وركوب رأسك في كل مرة ستفقد عقدك، وساعتها ستتراجع إلى راتب لا يكفيك شيئا، كيف تحتفظ بكرامتك ودخلك؟ معضلة لا ترى لها حلا...

لكنك سرعان ما تنسى كل شيء، دائما تفصل بين المواقف، لا يتسع ذهنك لاحتواء كل شيء، فتفرِّغه أولا بأول كي تنجز، إذا خرجت من الكلية تتعمد ألا تتذكر شيئا عنها، وإذا خرجت من البيت أنت في وظيفتك وكفى... إما أو، لكنك لست كذلك يا فتى، المنطق عاطفة والعاطفة منطق، وما بين الفواصل تترك نفسك للاوعي لتنعم بصور تتراءى لك....

ها أنت تتململ من سيرك مع زوجتك لعشرات محلات الذهب لشراء حلق وخاتم، ذهب هندي، ذهب سعودي، لازوردي:

- المشبك يمكن أن يُفكّ لوحدة

- المشبك غير مريح

- عيار 18

- عيار 21:

- لا توجد أشكال جديدة، أشكال بدوية جدا، من يلبس هذه الأحجام الكبيرة؟

- إن كنتَ تعبتَ اجلسْ في الحرم إلى أن أكملَ تجوالي

البنت الكبرى تريد لعبة كعادتها كلما أتينا إلى الحرم، طيبة مول، والصغرى أيضا، خادم الخاتم، تردد ما تقوله أختها على الدوام، إن كان يروق لها، وتهجم إن كان لا يروق:

- نامت "يا عيني"

نحملها بعربة اليد لنهبط السلالم إلى البدروم، لا يروق للكبرى شيءٌ في هذا المحل، دائما تدخله ولا يروق لها، تتجه إلى المحل المجاور:

- لا لألعاب العنف

- أنا لسة بنت، صح؟

- صح يا حبيبتي، تعالَ لنشتري من المحل الآخر

مازالت تصر على السيارة، مشكلة مستعصية، كيف تُفْهِمُهَا أنها لا يمكن أن تقود سيارة هنا حتى لو كبرت...

اللهم جنبنا الآثار السيئة لتناقضات أنفسنا، اللهم أنر بصيرتنا دائما لنرى ما نحن فيه ولا نظلم أحدا، اللهم أفهمنا أنفسنا واجعلنا واعين بأخطائنا وتركيبتنا وما تسببه من ضرر لغيرنا، اللهم إنا نحمدك ونسبحك ونكبّرك ونقدسك ونمجدك ونُنَزِّهُك ونؤلهك إلها واحدا لا إله إلا أنت بعدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك ومنتهى رحمتك، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، اللهم صل على محمد والرسل والأنبياء السابقين له أجمعين، اللهم ارحم أبي وأعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي وجدودي وجداتي وأغفر لهم وأدخلهم فسيح جناتك يا عفو يا غفور يا رحيم يا وهّاب يا منّان يا حنون يا إله الكون يا قدير...

انهض قبل صلاة الشفع والوتر لتصلي ركعتين على روح أبيك وأمواتك وأموات المسلمين أجمعين، انهض، فالصلاة هنا بألف صلاة فيما سواه...

الكلامُ السيَّار

تسكن في عمارة مجاورة للتي يسكن بها. تقف على الجهة الأخرى من الشارع، تشير بيديك للسيارات المارة، ينادي عليك من أمام العمارة، لا تعيره اهتماما، تتظاهر بأنك لا تسمعه، لا يريد أي تاكسي أن يتوقف، ينادي عليك، ترفع رأسك في مواجهته لِتَحِيَّتِهِ، يشير عليك أن تذهب إليه، ربما كان يحتاج شيئا:

- ستجيء سيارة

تضطر للركوب، فعلاقتك به ليست قوية لدرجة التَّفَهُّمِ، كما أنك لو اعتذرت ربما يعتبر ذلك إهانةً له، فهو مثلك في هذه الحالة يركب سيارة ليست سيارته، أي أنه يفرض نفسه على زميله، فلو قلتَ له لا تريد أن تفرض نفسك على أحد، سيتَّخِذُ منك موقفا عدائيا على الفور قد يولد مضاعفات في العمل مما قد ينقله من أشياء لم تحدث أصلا، ففي بيئة كهذه عليك الحذر من أي شيء، يحدث أو لا يحدث، إذ قد يؤدي هذا الشيء ببساطة إلى إلغاء عقدك، الكلام السيَّار هو الحقيقة

بعينها ولا شيء آخر، تركب، تجلس في الكرسي الخلفي، لا كلام، ولا حتى ترحيب أو ابتسامة من صاحب السيارة، تحس وكأن أحدهم يقطّعك بسكين صدئة وليس المطلوب منك أن تصرخ أو تستنجد بأحد، عليك فقط أن تجلس وكأن شيئا لم يحدث قط، كأنك تركب تاكسيا أو مع صديق ...

ما من مَخْرَجٍ أو سبيلٍ للتَّعَلُّلِ بأي شيء والنِّزُول في منتصف الطريق واستقلال تاكسي، فهو يعرف تماما أن عندك محاضرة في الثامنة صباحا، وكأنه يحفظ جدولك عن ظهر قلب، يدخل من الباب الخلفي للكلية، يتوقف بجانب المبنى القديم، فقسم العلوم مازال به ولم يُنْقَلْ بعد إلى المبنى الجديد، تَنْزِلُ وأنت تتصنَّع ابتسامةً وتشكر صاحبَ السيَّارة الذي لا تعرف اسمه، تذرع الخطوات لمدة عشر دقائق نحو الجهة الأخرى من سور الكلية حيث يقبع المبنى الجديد وقسم اللغة الإنجليزية به، تتمنى أن تبتلعك الأرض، لا أحد يسير على قدميه في تلك الأماكن، من معه سيارة يوقفها حيث يريد بجانب السلم الذي سيصعد منه، ومن يركب تاكسيا يتوقف به

حيث يشاء، ترى العيون تتلصص إليك من خلف زجاج السيارات:

- ما الذي جاء به من هنا؟
- لِمَ لم يأخذ تاكسيا حتى المبنى؟
- هل ركب باص النقل الجماعي الرخيص فأنزله عند الباب الخلفي على الطريق الرئيسي؟
- يا له من "نتن" يتقاضى راتبا كبيرا ويبخل على نفسه!!

تحس بالغضب لكرامتك، كيف تركب مع رجل لا تعرفه؟ كيف تفرض نفسك عليه؟ يبدو أنه يخاصم الحميمية، لم يبتسم لك أو يرحب بركوبك، لكنه له عذره، بل هو الذي على صواب، كيف يفرض عليه د. غسان شخصا لا يعرفه؟ وربما لا يرحب بركوب د. غسان معه أساسا، ومن ذا الذي يقبل أن تصير سيارته بعيدا عن تصرفه وكأنه لا يملكها ولم يدفع فيها ذلك الجزء من رواتبه ذات يوم؟ ألا نتقاضى

جميعنا بَدَلَ مواصلات مثله؟ بالطبع لا يعرف أنك لم تتمكن من استخراج رخصة القيادة بعد، ولا يعلم أن محاضراتك موزعة صباحا ومساء بحيث تستهلك يومك كله ولا تدع لك وقتا لحضور دورة تعلُّمِ القيادة، على كلٍّ، كل هذه الأمور لا تخصه، فما ذنبه؟

تتعمد عند خروجك في الصباح من باب العمارة أن تتجه يسارا ولا تعبر الشارع إلا بعد عشرات الأمتار كي لا تكون في مواجهة د. غسان أو تلتقي عيونكما أو يفرض عليك شيئا...

تخرج متأخرا فتندفع من باب العمارة نحو الجهة الأخرى من الشارع مباشرة، تشرع في التلويح للتاكسيات، ينادي عليك، تتجاهله، وعندما ينادي بصوت مرتفع لا يدع لك فرصة للتجاهل، تشير له بيديك بإيماءات توحي له بأنك غير ذاهب إلى الكلية مباشرة، وإنما ستذهب إلى مكان آخر قبلها، تشير بالرغم من أنك تدرك كذبك وترى استغرابه، لكنك ترسم علامات جادة على وجهك وتبتسم له ابتسامة

عريضة؛ وعندما يصل الدكتور الذي لا تعرف اسمه، يبدو أن د. غسان يقول له إن د. – لا تعرف إن كان يذكر اسمك أم لا – يقف في الجهة الأخرى، يضغط على كلاكس السيارة، فتنظر إليه مبتسما وأنت تشير بنفس الإيماءات. تطير من الفرح عندما ينصرف بسيارته وبدكتور غسان وكل ما يربكك ويحرجك ويثقل على قلبك ونفسك.

تتأخر عن موعدك بعشر دقائق لتتيقن من أنك لن تجده واقفا أمام العمارة المجاورة، فتعبر الشارع وتتنفس الصعداء عندما تنظر بطرف عينيك ولا تراه. وبينما تشير للتاكسيات، تجد يده تلوِّح لك من الجهة الأخرى، ولكن على الجانب الآخر من العمارة التي تقطن بها وليس الجانب الذي به عمارته. لا تعرف أين كان في ذلك الصباح، يخطر ببالك أنه ربما كان يقف أمام العمارة التي يسكن بها أحد أبناء بلدته حتى يراه ويركبه معه عند خروجه للكلية، وعندما لم يجده جاء ليراك، ربما كان أحد سَيُرْكِبُكَ مجانا ويركب معك، يسلّم عليك:

- اليوم سأركب معك لأن الدكتور ما جاء

- أهلا بك يا دكتور

وتشير للسيارات إلى أن تتوقف سيارة... تركبان في المقعد الخلفي، وقبل أن تستريحا في جلستكما يسألك عن الأجرة التي سيأخذها السائق، تتبادلان كلاما عن الجو والغيوم ويحكي لك عن السيول التي ستنْزل يوما ما وستعيق السيارات، بل وستجرف كل السيارات في طريقها وكيف أنه يحمد الله لأنه لم يشترِ سيارة، لأنه لو اشتراها لكانت قد انجرفت مع السيول وأنفق عليها كثيرا حتى يصلحها و......

يدخل السائق من الباب الخلفي، يطلب د. غسان منه أن يتوقف لكي ينْزل، يضع يده بالقرب من جيبه، فتحلف عليه ألا يدفع شيئا، يتنفس بارتياح ويبعد يده عن جيبه فرحا، تتنفس الصعداء وأنت تكمل المشوار بالسيارة نحو المبنى الجديد، تحس بأن السيارة تتراقص بك، تتمنى لو يشغّل السائق أغنية لعبد الحليم الراقصة، لكن الأغاني لا تُنَال بالتمني، فتدخل المبنى في أسعد حالاتك. (ديسمبر 2005)

مواطنٌ وحاملٌ ومقيمٌ

إهداء إلى داود عبد السيد وفيلمه"مواطن ومخبر وحرامي"

الطريق مِلْكُه، من حقِّه يفعل ما يشاء، كيف تفكِّر في قيادة سيارتك في الشارع بينما هو يقود سيارته؟ سيصدمك ويتعداك، من قال لك أن تسير أمامه؟ من سمح لك أن تسير في عرض الشارع؟ لو أنت رجل اضغط على بوق السيارة أو أعطه إشارة! مواطن وله الحق في أي شيء، ماذا أنت بجانبه أيها المقيم؟ أنت مجرد مقيم حقير تكتفي بما يتيحه لك من بقعة في الشارع مهما تمادت في الصغر، حتى لو وصل الأمر إلى أن ترفع سيارتك على الرصيف حتى يمر...

- كيف تصدم سيارته أيها الحامل لجنسية غربية؟
- أنا الذي كنت أسير أمامه، كيف لي أن أصدمها؟

ينهال الحامل على العسكري بالضرب، يتألم العسكري، يتصل برئيسه، ليس بيده شيء، يتصل الحامل بسفارته، يخرج ظافرا.

يركن المقيم سيارته على جانب الطريق في "الحراج"[1]، ينفخ المواطن في بوق سيارته، يتعجب المقيم، ينظر إليه، يشير له المواطن أن يفسح الطريق:

- الطريق أمامك، أنا بجانب الطريق، وهناك متسع لمرور خمس سيارات بجانب بعضها

- أبغي أمرّ من هنا، أنت مقيم قذر

تكبر "العملية" في رأس المقيم:

- الطريق واسع أمامك، مُرَّ كما تشاء، أنا واقف هنا

- أنا سأتصل بالشرطة، ألو واحد أجنبي يسد الطريق، وعندما قلت له سأستدعي الشرطة سب الشرطة والمواطن

[1] مكان بيع الأشياء المستعملة.

تكبر المسألة في رأس المقيم، لن يتحرك من موضعه حتى تجيء الشرطة وترى ما هو حاصل، يتوجَّه المواطن إلى ضابط الشرطة:

- هذا المقيم سب الشرطة وسب جلالته

يفلت زمام المقيم:

- هذا المواطن كذاب، لم يحدث أي شيء، هل أخطأت عندما ركنت سيارتي بجانب الطريق؟

ينظر الضابط يمينا ويسارا، أدخله المواطن في موقف محرج، يكتفي بتوجيه اللوم للمقيم، ينصرف مثرثرا مع المواطن، يخرج المقيم بسيارته إلى الشارع الرئيسي، تمر سيارة من يمينه دون سابق إنذار وتمر أمامه متجهة إلى يساره لتعبر الشارع متجاوزة الرصيف، يضغط المقيم على بوق السيارة، تنهال عليه الشتائم من كل صنف ولون، الأب، الأم، الأعضاء، تتوارد الصور حية أمام عينيه...

يفترض أن الامتحانات انتهت، وفرغت لجنة القبول والتسجيل من مهامها، يذهب المقيم بعد انتهاء مجلس القسم إلى مقر اللجنة، فقط ليتأكد أن كل شيء تم القيام به، أو بالأحرى زيادة في التأكد، فلقد فعل بنفسه كل شيء، كان الأعضاء المواطنون يجيئون لإلقاء التحية ثم ينصرفون، يجد باب اللجنة مغلقا، يمر على سكرتيرها المواطن في الغرفة المجاورة:

- لِمَ لم تأتِ؟ سأل عليك كثيرا
- هل هناك عمل متبقٍ؟
- يبدو لا، لكن قبل أن تنصرف مُرَّ عليه

ينظر إليه الوكيل ببرود:

أين كنت؟ ألا تعرف أن هناك الكثير من المهام التي لم يتم القيام بها بعد؟

- لقد أنهينا كل شيء

- أأنت تكذِّبني؟ اذهب إلى عملك، هناك قوائم ونتيجة في انتظار الإظهار وأشياء كثيرة في انتظارك

يأخذ مفتاح غرفة اللجنة، لا يوجد شيء، عليك الانتظار، ينتظر، يكتشف أنه عليه الانتظار حتى ينصرف سعادته مهما تأخر في مكتبه حتى المغرب...

كان المقيم يجلس في مكتبه، يمر عليه رئيس القسم الحامل لجنسية غربية:

- لِمَ لا تعمل؟

- فرغتُ من المحاضرات وها أنا أقضي الساعات المكتبية لكن لا يوجد طلاب

- تعالَ إلى مكتبي، هناك أعمال كثيرة، خُذْ هذه المسودَّات التي كتبتموها بالأخطاء الواردة في الكتاب الدراسي، صِغْ منها مذكِّرة نرفعها للإدارة

تعبر ذهن المقيم أن ذلك من اختصاص الرئيس، لكن لا مفر من القبول وإلا قُدِّمَ للمساءلة، يجلس في غرفة الرئيس،

يفرغ من المذكرة بعد ساعتين، كانت قد مرت ساعة على موعد انصرافه، في الصباح يجد أن الحامل قدَّمه للمساءلة لأنه لم يحضر الساعات المكتبية في مكتبه بالأمس، تخطر بباله هزيمة منتخب كرة القدم للبلد الأصلي للحامل رئيس القسمِ أمام منتخب بلده بالأمس، فلا يعرف إن كان عليه أن يضحك أم يسخر أم يكتب قصَّةً...

الأمس، كان بالأمس يحضر اجتماع مجلس القسم من العاشرة إلى الحادية عشر صباحا، يجد في الصباح مساءلة:

- لماذا لم تحضر الاجتماع الذي دعاك إليه العميد بالأمس من العاشرة حتى الحادية عشر؟
- من قال إن هناك اجتماعا؟ كنتُ هنا بمجلس القسم ولم تذكر لي ذلك
- بعث العميد خطابا منذ أسبوعين
- لكنك لم تخطرني بشيء
- ليس ذلك بعذر، من المفترض أنك تعرف

ينفعل المقيم:

- كيف أكون موجودا وأُقَدَّمُ للمساءلة؟

يجد أن انفعاله سيجلب له مساءلة أخرى، كما يكتشف أن الحامل أخفى الخطاب عن عمد لأنه لم يتمكن من إيقاعه في الخطأ ووجد أن إخفاء الخطاب فرصته الوحيدة لمساءلته، يكتب في ورقة المساءلة:

- لم أكن أعلم، كما كنتُ أحضر اجتماع مجلس القسم في نفس الموعد ولو كنت أعلم لَلَبَّيْتُ النداء على الفور...

يسير بسيارته في بطء على جانب الطريق، يحاول أن يتفادى أي احتكاك بأحد، يكاد يصطدم بسيارة مواطن كان قد تركها في عرض الشارع ونزل للتسوق في أحد الأسواق الكبرى بالمدينة، يتحسبن ويتحوقل، يتفاداها في آخر لحظة، يعود إلى شقته، يقرر آلا يخرج بسيارته إلا عند الضرورة.

31 يناير 2006

اعتصار

ستراودك كوابيس جمة، بالليل والنهار ستحاصرك، ستتراءى أمام عينيك، ستعتصر جسدك وتبعث فيه توترات، سينتابك السكوت، سكوت لا مفر منه، لسبب بسيط، لا أحد بجانبك، ستفكر ساعتها في الارتباط بشخص، ستتعجل الزواج، ستدخل على النت، ستحاول إنشاء خطوط دردشة مع كل الأصدقاء، الأصدقاء واحدا والأصدقاء نصفا، وستجدك تدور في دوائر متقاطعة، دائرة تدفع بك في دائرة وأنت لا حول لك، تحاول الخروج من كوابيسك، لكنها لن تدعك تهرب، فأنت هناك، هناك وحدك، لا أحد بجانبك من أبناء بلدك، فقدت جلسات المقاهي، فقدت سندوتشات الفول على أرابسك[2] بجانب المحطة العتيقة، فقدت الدردشة الحميمة بالصوت والصورة والهمس والنظرات والأماكن التي يسري فيها الدفء والانتعاش، تشكو همك، ننصحك بالتريث، فالاستعجال لن يؤدي إلا إلى اقتران مبتور سرعان

[2] أرابسك مقهى بجانب محطة قطار الجيزة.

ما ستتبين مدى نقصه وتشوهه، تجد أن النصائح لا تجدي معك نفعا، فما يعتصرك يواصل اعتصارك، وما يجسم على روحك ينهمك في عمله ليدهسها وينقضُّ عليها، وعليك أن تتصرف برسمية شديدة، رسمية دبلوماسي بعيد عن وطنه، كل شيء محسوب عليك، كل شيء، حتى الصداقة هناك، وأنت لا حول لك، ستكلف كل أصدقائك بالبحث لك عن عروس، وسينصحونك بأن ذلك أسلوب لن يحقق لك الراحة، فكيف لك الاقتران بهذه السرعة، تريد حلا، وعليك أن تتحمل ما يلم بك لأنك تطلب المال، أحاسيسك ثمن مالك القادم، لن ترى الحياة مكتملة، ولن تتحقق أنت، فتحققك يعني اكتمالك واكتمالك نقيض ما تحس به، أهلا بك في وطنهم، سيراودك شعور حتى بأن اسمك "سيد" فاقد معناه، فلا مجال للسيادة هناك، وكيف تكون سيادة مع الألم والاعتصار والفقد والمرارة وكل ما يتسيد على جسدك وروحك، كلنا أنت وأنت كلنا، الجزء مساوٍ لمجموع الأجزاء، وسترى المعادلات مستعصية والمحاولات فاشلة وعليك أن تتكيف، تقول:

- كيف أتكيف وأنا لا أتبين تكيفا؟

وتقول:

- كيف لي بالانسجام وأنا في قمة التضارب؟

ستقول تدفقات كثيرة، تدفقات تسكب فيها تقيحات روحك، وما لروحك بالتئام، بشرى لك، أنت ممثل هذه الأمة، أنت خلاصة الألم، أنت نحن، ونحن بعيدون عنك ولن تجدنا بجوارك في أنهار الفضفضة، كل ما هو مطلوب منك الآن أن تستدعي مهندس الكمبيوتر النذل على الفور لإصلاح برنامج الماسنجر لك، ونحن في انتظارات صوتك.

22 نوفمبر 2005

ولد يقاوم التشليح

ولد يعاند دخانا يتشكَّلُ في حدوده، يلوّح بيد سميكة علَّها تبدِّد طبقة من طبقات الدخان، يصر الدخان على التَّكَتُّلِ، يضربه بيد من حديد، فيسقط الولد في دائرة الضباب، يرتشف قطرة من فنجان القهوة الكشري بالنعناع، القهوة التي توصل إلى طريقة صنعها حديثا، بعد أن باءت جميع محاولاته لتحديد نوع البن الذي يتوافق مع رأسه بالفشل، فبدأ يصب الماء الساخن على البُنِّ وورقة نعناع وملعقتين من السكر، بُنٌّ بلا أية إضافات، قال له البائع:

- هل أضيف لك الهِيل على البُنِّ؟
- لا

ربما لأنه لم يفهم طعمَ الهيل ساعتها، فجاء البن قُحًّا كَرُمَّانٍ أخضرَ كان يقطفه من الشجرة في بلدته لأن الرمان هناك لا يستوي أبدا، الأطفال دائما يقطفونه، ربما يأكلونه، ربما لا، لكنهم يقطفونه، وربما لأن الطفولة كانت تداعبه

فأخذ يقطف مثل بنته، يرتشف رشفة، ينظر إلى التعميمات الجديدة المعلقة على اللوحة بالغرفة، تعميمات تُعَدُّ جزءا من العقد ولا بد من الالتزام بها، يتذكر التعميم الأخير الذي جاء متأخرا عن موعده، وعليه أن يلتزم:

- كيف؟ لست أدري يا عم "أبي ماضي"، لست أدري حقًّا

يرتشف آخر رشفة، يغسل الفنجان جيدا ويسرع إلى الفصل، عيون تحملق فيه أو هو الذي يحاول أن يستنطقها، علها تفصح عن تفاعل، علها تثبت وجودا لها في براح الفصل، يدندن همسا بأغنية عفاف راضي "وحدي قاعدة في البيت"، دائما تخطر على باله هذه الأغنية عندما تُحِدُّهُ حدودُ الفصل، يعاود التبسيط، يُخرجون جوّالاتهم ويستخرجون معاني لا معنى لها:

- لن يتعلَّمَ أحدٌ منكم شيئا مادمت هذه البرامج الخارجة على السياق تستعبدكم، الكلمة لا تُفهَم إلا في سياقها

عاش الجَّوَّال، مات الجوّال، لا بأس، لا بأس، فلننظر للأمر من منظور آخر، يكتشف أن لغته غير مفهومة، يتكلم عن أشياء لا داعٍ لها:

- لمَ لم تكتب موضوع التعبير؟

- الكتاب كان في السيارة.

- ولمَ لم تخرجه منها وتأخذه للبيت؟

-آخذه في نهاية الأسبوع، اليوم الثلاثاء.

- أهلا بكم، لا بأس، أمامكم ربع ساعة للكتابة

***

تنشط في الفاصل ذاكرتك المؤقتة، سائق التاكسي، لا، اللغة لا تحدد، صاحب السيارة، أول ما يسألك ما راتبك:

- لِمَ تسكن في هذا الشارع الغالي؟

تتهرب منه بكلام عام لا يكشف شيئا من الحقيقة، العيون في هذا المكان تطاردك، تنظر بطرف عينيك إليها

وهي تفتش في الأكياس التي تحملها وأنت خارج من محل البِقَالَةِ، وكأنهم لا يستلمون رواتب تفوق راتبك ، وكأنك أنت الوحيد الذي تأكل على هذه الأرض.

- أبدا، الشارع هنا مزدحم ونحن في مصر معتادون على الازدحام، كما أنه آمن، دوريات الشرطة تمرُّ فيه على الدوام، لا أخاف على الأهل عندما يضطرون للخروج بأنفسهم.

- ولمَ يخرجون بأنفسهم؟

- يضطرون عندما أكون في الدوام ويحتاجون أشياء ضرورية.

- لا تدعهم يخرجون لوحدهم، من تخرج لوحدها امرأة غير محترمه.

تعرف أنهم لا يقصدون ما يقولونه أحيانا، أحيانا تخونهم الألفاظ، ولولا ذلك لرددت عليه ردا خشنا. انظر إلى غيرك من الحاملين لجنسيات غربية، ذهب أحدهم في أجازة

عيد رمضان إلى السودان إلى أحد أصدقائه دون سابق كلام ليتزوج للمرة الرابعة ويعود بزوجته بعد أسبوع، ها هو آخر، ضرب زوجته، تركته، لجأت للسفارة، فسافر في أسبوع إجازة نصف السنة إلى المغرب بناء على مشورة أحد الحاملين من أصول مغربية ليجد عروسا ويتزوجها ويعود بها في خلال هذا الأسبوع، ها هو آخر قد ذهب إلى نفس السوبر ماركت، فرع الأردن هذه المرة، ليعود بزوجة في خلال نفس الأسبوع.. تنظر للخارج، رجل يلقي قطعة ورق على امرأة تسير في الشارع.

- ما ذلك الذي يلقيه؟

- رقم جوَّاله.

- لماذا؟

- قد تكون طالبة وتتصل به.

- غريبة.

يوشك ما أحضرته معك من مال على النفاد، ينصحك زملاؤك القدامى بطلب سلفة:

- الأمر سهل جدا، ما أن تقدم طلبا حتى تأخذها في اليوم التالي إن لم تأخذها في نفس اليوم

فتقدم الطلب مستبشرا، يقول لك الوكيل:

- أبشرْ

تمر عليه في اليوم التالي:

- أبشرْ جمعنا كل الطلبات، مُرَّ في بداية الأسبوع المقبل.

وتمرُّ عليه:

- أبشرْ، لا توجد ميزانية، سأعرض الأمر على العميد.

تمرُّ عليه بعد أسبوع آخر، ترى الطلبات مازالت أمامه على المكتب، وقبل أن تفاتحه في الموضوع:

- أبشر، العميد مشغول جدا، وسأعرضها عليه عندما يفرغ مما يشغله.

لا تبالي باحمرار وجهك خجلا أو غضبا أو سخطا، فكلها أمور تتبين أنها ليست لها قيمة هنا أو هناك. تطمس كل ما يعتريك من مشاعر وأحاسيس متضاربة أو متناغمة، وتذهب بوجه حيادي:

- أبشرْ، لا توجد ميزانية ولم نستطع تدبير المبلغ....

قبل أن يعرج بك السائق على طريق عروة تلاحظ آخرَ يتعقَّبُ بسيارته سيِّدَةً تسير في الشارع وتمسك بيد بنتها بزيها المدرسي.

- هذه سيدة متزوجة.

- ذلك أحسن، المتزوجة غير مكلّفة، إذا كانت تريد لا تطلب شيئا، غير البنت التي تطلب منك أن تشحن لها الجوال أو تحوِّل لها ريالات على الصرّاف.

تهمس لنفسك "سبحانه"...

- هنا البدو مشكلة.

- لِمَ تفرقون بين البدو والحضر؟

- هذه عادات وطباع لا يغيرها الزمن ولا التعليم، تربى الناس على ذلك.

تتذكر ذلك البدوي الذي اتفقت معه على عشر ريالات، وكان طوال الطريق يقول لو زدتها خمس ريالات لتكون خمسا وعشرين لا بأس، لم تفهم كلامه ساعتها، ظننت أنه يكلم نفسه، لا تتدخل في شئون الآخرين، وعندما وصلت الكلية طالبك بعشرين ريالا، أعطيته إياها رغما عنك، لا تحب أن تتجادل مع أناس لا تتوقع رد فعلهم، كما أن منظرك أمام الطلاب الجالسين في سياراتهم قد يبدو سيئا، لا بأس، تعطيه إياها وأنت تتحسبن فيه، وهل هذه أولى مرات النصب؟!...

تتفادى الكلام في الأمور الشخصية التي تلحُّ أسئلتُه على الدخول فيها، تتظاهر بعدم السماع أحيانا، كأن صوت

الهواء الذي يمر سريعا بنافذة السيارة يشوش على أذنيك، أو أنك لا تفهم اللهجة، أو غير ذلك من أساليب المراوغة، عندما يدرك ذلك يتكلم في المطلق، كان ذات مرة خارجا من الحرم، أشار له شابان، نريد مسجد قباء، كانا من الرياض، عندما استقرا في السيارة، قالا:

- لماذا تؤجرون سياراتكم يا أهل المدينة؟ هذا عيب، أنتم لا تستحون من شيء، تعملون كما البنغاليين!!

- وهل في العمل عيب؟ انزلا ها هنا.

***

- هل انتهيتم؟ امتدت الربع ساعة إلى نصف ساعة في كتابة جملتين، ماذا لو طلبت منكم كتابة فقرة كاملة؟

يستشعرون نبرة التهديد، فيتعهدون بعدم تكرار ذلك، عهود تعرف أن الرمالَ الحارقة خارج مبنى الكلية تتشربها، لكنك لرغبة ضمير تبتسم لنفسك مؤقتا...

أظن أنه كان ولدا يعاند عند حافة الرمل، يبتسم لنفسه، يتصل بزوجته للاطمئنان عليها والبنات، يداوي رتوق الجُمَلِ على السبورة، يلفت الانتباه للخطأ وكيفية تصويبه للمرة الألف، يضبط علامات الترقيم والحروف ما صغر منها وما كبر، يتحسبن في زميله الذي باع له سيارة جشعة أتلفت أمواله بلا إصلاح وتربض الآن في الورشة في انتظار الذهاب للتشليح، يتعهد بشراء سيارة أخرى، يرتشف فنجان قهوة كشري آخر ويعود إلى نفس الوجوه في المحاضرة التالية.

ديسمبر 2005 /يناير 2006

كأن بهما إصرارا

ينظر من وراء مكتبه بعينين كأن بهما بلادة، ربما لا يفهم ما يقال، ربما يندهش على طريقته:

- عليك ألا تسجل ساعة الصلاة ساعة مكتبية، من الثانية عشر إلى الواحدة ساعة صلاة يوميا.
- أنا موجود هنا، ساعة بين المحاضرات، أليس نصابي التدريسي والمكتبي 25 ساعة؟
- لديك يوم ليست به محاضرات في الصباح
- لكنني لدي أيام بها محاضرات حتى الثامنة.
- لا بد أن تسجل ساعاتك المكتبية قبل الثانية عشر
- طلابي يتواجدون مساء
- ساعاتك المكتبية يجب أن تكون صباحا

يحدق، ربما يفكر في أن ينهض ويمسك به، فليذهب الاحترام والتحضُّرُ إلى الجحيم، لكنه جرّب ذلك من قبل

وتداعت عليه المساءلات، يمسك بالقلم، يدوّن أشياء، ربما كانت قصيدة، ربما مقطعا من رواياته التي لا تكتمل أبدا، يغمض عينيه للحظات، يستحضر بعض الصور، أو ربما يقرأ بعض آيات القرآن، يضع علامة استفهام في نهاية البيت أو السطر، يلتفت إلى عبد الله بروس على المكتب المجاور، يحاول أن يخرج إلى دردشة لا تنوي شيئا سوى التنفيس:

- أمي دائما تعرف أنني أسلمت منذ 20 عاما في مصر، مصيبة إن كانت تقرأ تلك الكتب التي تشتريها من محلات ستاند أمام جامعة نيويورك، بها مشاهد جنسية صريحة، محاولة تطبيع للعلاقات بين الجنس الواحد، كما أن بناتي يغضبن عندما أفتح الطرد الذي ترسله جدتهن لهن.
- لكنك لا بد أن تقرأ هذه الروايات أولا، نعم، لابد من الرقابة، عليك أن تتصرف بحكمة

يبتسم دكتور صلاح على المكتب الآخر، تذكر يوم مناقشة أبحاثه للأستاذية، بعد أن أفاض في الرد على أسئلة اللجنة:

- ماذا أضفت لعلم الرياضيات؟

كتمها في نفسه، ربما ضحكا، ربما ردا عنيفا، ربما سخرية، كظمها، وقال لنا:

- ما علاقتي بعلم الرياضيات أصلا؟ أنا دكتور طرق تدريس لغة إنجليزية وتكنولوجيا المناهج
- لا بأس، يبدو أنه عليك أن تكتفي بترسيبك إلى حين...

يبدو أن كلامه هنا وهناك أخرجه قليلا، نهض مسرعا قبل أن تقفل الكافيتريا أبوابها قبل الواحدة، يشترى سندوتشين وزجاجة ماء، يؤخر الشاي إلى ما بعد الصلاة، يصلي ركعتين إمعانا في الاستعاذة من الشيطان الذي قد يفسد عليه كل شيء، يستعيذ من الشيطان ومن الوزير، يستحضر لقاءه

بأساتذة الجامعة المصريين في الرياض وجدة، يستعيذ من عجرفته، مطاردته "العبدة المال"، إصراره على عدم تقدمهم للترقية طالما هم بالخارج، يتذكر برنامج "أبناؤنا في الخارج"، ربما كان بإذاعة البرنامج العام، ربما بصوت العرب، وربما بالشرق الأوسط، ما عادت القنوات الفضائية تترك وقتا للإذاعات المحلية، توقف عن مواصلة أبحاثه، ربما لن تجديه شيئا، ربما ينتظر ثلاث أو خمس سنوات بعد عودته حتى يحق له، يتسرب إلى أذنه أثيرُ عدم اشتمال العلاوة الجديدة للمعارين، تجثم على صدره عدم استحقاقه كأجنبي للزيادة في الراتب، يستعيذ بالشيطان من...

يصعد إلى مكتبه، يصب الماء الساخن من الغلاية، يرتشف الشاي سريعا، محاضرة الواحدة تناديه:

- بعد إذنك يا دكتور، سأذهب للمحاضرة ونلتقي بعد الفاصل...

- من الذي قام بنشاط منكم في أسبوع اللغة الإنجليزية، نجهّز شهادات تقدير للمشاركين؟

- حضرنا

- هل شاركتم؟

- كنا جالسين

- ربما لو كان الباب مفتوحا لخرجتم

يضحك ضحكة مكتومة، يصر القسم على إقامة الفعاليات، الطلاب لا يرغبون أصلا في الحضور، يغلق القسم أبواب المسرح بعد دخول الطلاب في الساعة الثامنة:

- لا بأس، نعود، قررت إدارة الجامعة أن تكون كل أسئلة الاختبارات أسئلة موضوعية

- لم نتدرب عليها

- لا تقلقوا، سأعد المنهج بأكمله على شكل أسئلة موضوعية في نهاية الأسبوع، سيكون عندكم اختبار في نهاية الأسبوع المقبل، ربما تعوِّضون درجاتِ الاختبار النصفي، اتقوا الله في أنفسكم، كنت أتوقع ألا يحصل طالب على أقل من جيد جدا، الأسئلة

ناقشناها كلها وإجاباتها في المحاضرات، ربما تعوِّضون، من لن ينجح في الاختبار ربما لن ينجح في النهائي...

- عليك أن تسجل ساعاتك المكتبية قبل الثانية عشر...

يتجهم... سرعان ما تعود ابتسامة خفية، بنتاه تقفان تحت الدش، تضعان الشمسية فوق رأسيهما، المطر يسقط على الشمسية، يضحك... يعود إلى مكتبه، ينظر من وراء مكتبه بعينين كأن بهما إصرارا...

منظور

لليوم الثالث، لا على التوالي، لا على التوازي، تجلس أمامهم، تمسك قلما مختلفا، علَّك تتأثر بتغيير الخط أو اللون، تنساب إليك كلماتك، يفترض أن تجسّد قصة، يفترض أن تقول شيئا، دائما "يفترضون" أن تكون "فيك" أشياء:

- فلماذا تكتب إذن؟
- لا شيء
- لا شيء ماذا؟
- لا أعرف بالضبط ما الذي يحدث
- عُدْ إلى قلمك القديم، ألا تراه الآن يسرع الخطى على السطر لكي يكمل معك ما تريد؟ لا تبتئس يا صديقي، كل ما هنالك أنك مرهق قليلا، أو حتى كثيرا، لا يريد عقلك أن يعمل بكامل قواه، يريد النوم، بالرغم من أنك نِمْتَ كثيرا الليلة الماضية

- من قال لك إنني نمتُ أصلا؟ مواجهات حضارية غبية يا أخي، يقولون إن العالم صار قرية صغيرة، يتحدثون كثيرا عن الوحدة.... ألا ترى الفواصل التي لا يمكن تجاوزها؟ وإن تجاوزها طرف لا يتجاوزها الطرف الآخر، ألا يتوحد المرء مع ذاته أولا حتى يمكنه التوحد مع الآخرين فيما بعد؟ ألا ينصهر في نصفه الآخر حتى ينصهر في البوتقة الأكبر بعدها؟

أنصاف، أنصاف، الدنيا كلها أنصاف يا عم منير، إنه الاختلاف يا سيدي، الاختلاف سيد الموقف، مهما ازدادت نقاط التشابه فلن تمثل إلا نسبة ضئيلة من مجموع الاختلافات، كيف يأتيني النوم أصلا؟ يقولون إن التقاءكما أول نقطة لامتزاجكما فيما بعد، لكنك التقيت وما من امتزاج، إذا تنازلت أنت سيحاول نصفك المفترضُ أن يحصل على المزيد من المكاسب، يبدو أن بعض الأعمال الأدبية التي تصور الصراع، لا الحوار، أكثر مصداقية، مَن ذلك الطيب

الذي يتصور أن القرية يمكن أن تصير مدينة أو المدينة قرية؟ غباء، يقولون: أنت مقبل على حياة جديدة، فليكن، ما الذي ينقصك لاستيعاب هذه الحياة الجديدة؟ لا شيء سوى تحويل وجهة منظورك قليلا كي تتأقلم، تستوعب شخصا آخر في حياتك، تتمثل بلدا مختلفا في قلبك، تجربة جديدة وعليك أن تستفيد منها لتطوير شخصيتك، ألهذا صرتَ مشرفا على لجنة التدريب والتطوير؟ تجربة جديدة وعليك أن تكون فاعلا فيها، لا بد أن تكفَّ عن العصبية، لا يوجد ما يربطكما حقا، والعصبية قد تؤدي إلى مضاعفات، أتخشى العواقب؟ فليكن، الهدوء، كانت دراستك للمنظور جَدَّ مفيدة، فلتتعلم الدرس إذن، ألم تكن دراستك "الرؤية الحضارية للإبداع" أكثر إفادة؟ معضلتك أنك تتطور على الدوام؟ لكن السكون يواجهك مخرجا لك لسانه، لا يستوعبك السكون، يصر على قناعاته الشخصية، ينبهر بنفسه لدرجة الاستفزاز، لكن يبدو أن النظرية تتفوق كثيرا على التطبيق، تخلصت من عصبيتك تماما، أصبحت الآن إنسانا داجنا، لا بأس، كلنا من

الفصيلة الحيوانية في النهاية ومادام ذلك شيئا متبادلا لا بأس أيضا، مادام كل منكما سيفعل نفس الشيء حتى تفسحا مجالا للتلاقي، منطقة وسطى مشتركة يمكنكما التحرك فيها، ولكنك بعد أن يبلغ تدجينك مداه تكتشف أن أحدا لا يتزحزح قيد أنملة عن موقعه، بل يحاول أن يستقطع منك امتيازات جديدة...

- ما علاقة هذا بما سبق أو بما سيأتي؟

تعتصر ذهنك الأسئلة، وتُسَاءِلُ ما تكتبه، أين يمكن تحديد البؤرة؟، تظن أن ذلك موضوعك الأساسي، مجرد ظَنٍّ قد يُوَفَّقُ أو يخيبُ، ربما راوغتَ كثيرا حتى تصل إليه

- إلى ماذا بالضبط؟

يبدو أن عبارتك ذاتها مراوغة كبرى، ربما كان هناك رابط وثيق بين الكل، ربما كان في ملامح هؤلاء الذين يتشبثون بالغباء أمامك الآن علاقة بملامحها

- من هي؟ ما هي؟

- لا تظن السوء يا ابن آدم، مجرد تقاسم للسمات الشخصية وإن كان على محاور مختلفة

تجلس في تلك القاعة تنتظر، ما من أحد يدق الباب، وكأنهم عزفوا عن الحضور

- حلوة "عزفوا" هذه!!

تفتح ذلك الباب، علَّكَ ترى أحدا فتنادي عليه، لا يظهر أي شخص في الطرقة، قلةٌ يتناثرون هنا وهناك في القاعات وكأنهم حبات رمال ضاعت أدراج الفصل، تضع يدك على رأسك، تحاول أن تجمّع شتات ذهنك الحار، ما من مبرر، لا تستطيع التوصُّلَ لشيء...

- أهي عاداتهم هنا؟

- لا شيء يهم. لا يوجد مجال لأي انبهار

- وهل تصر أنت على تحميل كلامي بما لا أقول؟ ما معنى الانبهار أصلا؟

- ألم تجرِّب رائحة الصبّار وتصنع سياقات مختلفة؟

- ومتى قلتَ شيئا أنت أصلا؟ فقط تضمرُ على طول الخط، وعليّ أنا وغيري أن نجمع الشتات من بين السطور، من بين القصص...

لكنك وقفت، تنظر شاخصا أمام السبورة، تحملق في أبجديتها السوداء، تحاول أن تتهجى حروفا تعسر على لسانك، تتأرجح حروفك ما بين المد والجزر، وكأن لسانك انقلب عشبا تتناقله المياه كيفما شاءت، لا يخطر ببالك أبدا أن ذلك مجرد احتمال، مجرد وهنٍ طاوع قلبك يوما، أو قلبك هو الذي طاوعه فانصاع له، دون أن تساءِل نفسك، دون أن تضغط على ذلك الزِّرِّ الذي في رأسك، للفتح أم للإغلاق؟ يبدو أنه صدئ أو غطَّتْهُ كثبانُ الرمال، لا بد لك من موقف، بدأتْ رأسُك "تفصل"، تكتب جملة، تنفصل أسلاك رأسك لثوان، أو ربما لأجزاء معدودة من ثانية أحمد زويل، ثم تنظر إليها...

- أإلى السبورة أم الجملة أم إليها هي؟

ترى أنها تشتمل على كلمات لم تدرجها بنفسك فيها، كأن لاوعيك هو الذي يتحكم فيك...

- ولماذا "كأن"؟

لكنك سرعان ما تنسى ذلك، أو سرعان ما تغيب الجملة عن ناظريك، فتعود إلى "الفصل" مرة أخرى...

- أهو القاعة الدراسية أم فصل رأسك أم انفصال أسلاكك أم فصل الصراع أم فصل العامية عن الفصحى؟

تتذكر أنك بصدد الكتابة، تتذكر أنك كنت قد بدأت في كتابة قصة...

- لكن ماذا؟ هل تريد أن تقول إنه فقط انسياب أفكارك بعدما جئتَ إلى هذه الأرض؟

- أي أرض بالضبط؟ أهي أرضنا جميعا أم تراها أرض خاصة؟

كان فعل ماضي، بسيطة، لا ترى أن هناك مشكلة، هل ستخسر شيئا إذا كتبتَ الأفعال في الماضي؟

- عما تتكلم بالضبط؟ يبدو أنك أوشكت على النوم فعلا، لا تستطيع حتى أن تفتح عينيك، اكتبْ الكلمات الدالة بلون مختلف، أو حتى نشِّطْ الكلمات بوصلات تُحِيلُ إلى وصلاتٍ أو قصصٍ أخرى في هذه المجموعة أو مجموعات أخرى حتى يمكن تتبع طريقها وعلاقاتها، قصصك كلها لاوعي واحد، لِمَ ترهقنا هكذا؟ لقد سبقك كثيرون إلى النشر الإلكتروني، الأدب التفاعلي يا أخي

- تصور أنك غبي! أيوجد تفاعل أكثر من هذا؟

- أهذا السؤال على لسانك أم على لساني؟

المهم، كانت أصواتها، لا تقول البهائمية كي لا تظلمها، أصواتها الزاعقة الصارخة التي اندفعت من الشبابيك وامتدت إلى كل أرجاء الشارع، كانت هستيرية جدا، وكأن

عفريتا ركبها، أو أنها هاجمها أو تكشف من داخلها مرض شعبي، كانت قد غضبت منك من قبل لأنك كنت قد ألمحت ذات مرة إلى ضرورة ذهابها إلى طبيب نفسي أو أحد الشيوخ، كان مجرد تلميح، لا تعرف كيف يصرُّ المرء على تجاهل ما يلمُّ به ويعتبر مجرد فتح هذا الموضوع خطأً لا يغتفر:

- أأنا مجنونة؟ أأنا حبيبتك راكبها عفريت؟ كيف تقول ذلك أمام أخي؟

دوى صراخ البنت الكبرى في مؤخرة الليل من جرَّاء الضربات الهستيرية التي ألقتها عليها دون سابق إنذار، ربما كنتَ أيها الطفلُ ترى شيئا عاديا في أن تكسر شيئا أو تبعثر الأشياء، ربما كان منظورك يجعلك تراها غير منظمة أصلا ولذا بعثرتها/ نظمتها، لكن الهستيرية لا تجعله عاديا، تنهال عليك الضربات واللكمات... وكأن أشياء كثيرة لا تغتفر قد ارتكبتْها...

- يفترض أنكما في غربة، لا تتخذ إجراء الآن، لا تفعل شيئا إيجابيا

- أتقول إيجابيا؟

- فقط انتظر إلى حين حلول إجازة الصيف، ساعتها يمكن أن تتصرف على رسلك، ليس الآن

تضع يدك على كتف ابنتك كي تهدئ من نشيجها وتمسح باليد الأخرى دموعا متناثرة تسقط على خدها من حين لآخر...

- بصراحة أشعر بأنك تتصنع الكتابة، كأن قصتك لم تتشكل في مخيلتك بعد، لم تتضح الصورُ في رأسك، تحاول أن تتكلم في المطلق والعموميات بعيدا عن أية تفاصيل قد تصلك في ذلك اليوم المنفتح على الطريق المؤدي إلى ما لا يحس بما قد يصل إليه من انشراح كاذب نتيجة لنقد، لنصل، لتقدم، نشر، انتهاك، سراب، متخيل، على من؟

- وهل هذه جملة قصصية تتداخل بها معي أصلا؟

- لا أدري، "بصراحة وبكل صراحة ملقيتش في حبك راحة"3.

وتعود إلى مقارنتك القديمة! تحاول أن تجمع شتات الصورة التي أوشكت أن تنمحي من ذاكرتك، تستجمع بعض الملامح، لكن الكثير منها يراوغك، يفلت من ذاكرتك، وكأنك لن تنجح أبدا في كتابة نصك الأكبر الذي تحاول فيه أن تعصر ذاكرتك القصصية لتقبض على ما/من يحاول الانفلات منها...

- من أدراك؟ ربما كن كلهن مثل بعضهن، ألم تنْزل إلى الأرض ناقصا؟ ألم تترك جزءا كبيرا هناك في العلا؟ فقط الاختلاف في بعض العلامات الخارجية للإطار، بعد ذلك لن تجد سوى القاسم المشترك، آه لو كانت المسودة التي تركتها في مكتبتك هناك قبل سفرك معك الآن!

3 من أغنية لفايزة أحمد.

تعود إلى ذاكرتك وتتمزق الصورة بين يديك، أتذكر؟ ساعة أن جاء زميلك الذي لا يُكِنُّ لك إلا كل حقد، لكنك لك عذرك، لم تكن تدرك ذلك ساعتها، قال إنها قالت... عنك، فمزّقتَ صورتها التي كان صديقك الآخر قد "سرقها" لك من دفتر الاستعارة بالمكتبة بعد أن رحلت عن تلك الكلية، مجاز مرسل، سحر أسود، لكن اكتشافك جاء بعد فوات الأوان، ضاع منك الدليل المادي الوحيد الذي يثبت وجودها أصلا، وربما لم تكن موجودة إلا في رأسك! ماعدا ذلك مجرد فتات في الذاكرة، لقطات بالأبيض والأسود وكأنها صورة بكاميرا ترجع إلى أواخر القرن التاسع عشر، لقطات كأنها الوهم أو الحلم أو صور تتراءى لك في الوقت الذي تفتح فيه عينيك من سترة الإجهاد وعدم النوم في الفصل وعليك أن تصحو لتكمل المحاضرة، لحظات قليلة تبين فيها ملامحُ بالكاد تراها ثم تختفي فجأة من حيث تسرَّبتْ وكأنها ومضاتُ وهمٍ سرابي يتراءى أمامك...

كلما نظرت إلى هذه الوجوه أحسستَ بأن هناك مشكلة، كأن هناك خطأ، أو ... تحس بأن تلك الغلالة شبه المعتمة التي تعتصر رأسك ستدوم قليلا أو كثيرا، على الأقل إلى حين الانتهاء من هذه القصة اللعينة! تذكّرك بجان كوكتو وآلته الجهنمية بدلا من أن تذكّرك بجيمس جويس أو محمود عوض عبد العال، الخيوط تتشعب، ها هي تتخذ هوية أخرى، ما هي القصة أصلا؟ حتى مفهوم السرد تنكّر وتحوّل إلى فعل فيه من الغناء والحوار والتأمل والتساؤل وانسياب الخيوط والتدفق الكثير... تبحث عن جملة أخرى تداوي بها ذلك الرتق الذي يلم بالنص، ربما جمل، وربما لم تكن الكلمة المطلوبة هي الرتق، بل الفجوة... سيكشف البحث عن أشياء مثمرة، وربما مثيرة، ابحث، لا تتوقف...

"وحدي قاعدة في البيت"4، أهلا عفاف، لا تدري لماذا تتذكر هذه الأغنية بالذات وأنت في قاعة المحاضرات، تحس بأن كل المدارس الأدبية تحاول التجسد عندك، وأنت الآن في

[4] من أغنية لعفاف راضي.

حِلٍ من كل منها، وضعتَ إصبع قلمك على طريق ما يحاول الارتسام أمامك، أنت تحاول، وهو يحاول، ومحاولاتكما ستصل بكما إلى نقطة ما، لا بأس مادام الكون كله سيتكاتف على تحقيق أسطورتك الذاتية[5] إذا كنت مصمما عليها بطريقة لا تسمح لك بأن تلين أو تتخاذل، لا بأس، كلها متاهاتٌ بكرُ، وأنت هنا وهناك تكتب، تحاول أن تسد بعض الفجوات التي تراها في بعض الخيوط الموصلة إلى نسيج النص، لا "تسد"!! من قال إن هناك فجوة أصلا، أليس من المحتمل أن الغشاوة التي على بصرك كَثُفَت، وما عاد بصرك ألومونيوم أو نحاس أو حتى خشب، وبالتالي لا ترى جيدا؟ أليس من المحتمل أن تكون هذه الفتحة/الفجوة سابقا ممتلئة بنسيج ما، لكنه شفاف جدا بدرجة تجعلك لا تلاحظه؟ ربما كان غشاء بكارة، وربما كان سده تمزيقا له، نعم، تحاول أن تسلط الضوء على بعض الفتحات التي تشغى في نسيج النص، لتتبين ما تنفتح هذه الفتحات عليه، على ما

[5] الأسطورة الذاتية مفهوم رسمه باولو كويليو في روايته السيميائي أو ساحر الصحراء كما ترجمها أستاذنا المبدع بهاء طاهر.

تصل النص به... تتأمل في هذه الفتحة، تبصر قصائد، تبصر خيوطا "تندهك"... تعشق رائحة المطر، لكنك تخشى أن تتساقط الأمطار عليك وأنت في طريقك إلى عملك. تنفعل كثيرا، لكنك، إذا قررت التحكم في أعصابك، تجدك شديد البرود... عقلك مثقل بالعواطف، قلبك تراوده الأفكار عن نفسه، وما بين الاثنين، خيط كبير يوشك أن ينقطع... حبات التراب تلهث، تتهلل عندما تغيم السماء، تبتسم للنسيم المواتي، تومئ بعينيها لأجنة حبات المطر، تشرق لها في دلال، فتتهاوى عليها الحبات في لهفة... ورقة شجر، تترنم كل يوم بأنشودة الصباح، ترفع طرفها للسماء، تشكر الخالق الحنون، ثم تنظر لك في رضا، كأنها تؤكد لك ما بينك وبينها، تقبِّل جذعها الريان، وتسكب كوب ماء على أوراقها، تغتسلان سويا، أوراق أنت تركتها تجف، لم تلتفت لها، لم تصغِ لنسيم حياة يسري فيها كنهر كان هنا منذ الأزل، لكنك صَمَمْتَ قلبك، غلَّفْتَ نفسك بعازل يجافي النشوة والتوهج،

ارجع إلى دمك، اطلب منه العفو، علَّ أوراقك تعود إليك ويلدُ ماؤك مياها... يدق جرس "الفسحة"

- هههههههه، حلوة "الفسحة" هذه!!

تنتفض رأسك، تنظر في ساعتك وتنصرف إلى قاعة أخرى.

أبريل ومايو 2006

أبخرة

ما بال هذا الصداع يناوش الرأس ويثقل الجفون، مع أن اليوم يوم أجازة وكانت اللغة فيه تتبرزخ، دَوِيٌّ في رأسي، دَوِيٌّ في رأسك، يبذر علامات استفهام، حول نفسك، حول غيرك، حول ما تفعله أصلا، صداعٌ يُلِمُّ بك، واقف أنت هناك، جالس أنت هنا، أهو ذلك الكمبيوتر اللعين يتآمر عليك فيثقل رأسك؟ يقول لك إن الذاكرة مشغولة للغاية، لا يمكن تنفيذ أي أمر الآن، كفَّ مخك عن الاستجابة، تحاول إعادة تشغيله، وما هو بمستجيب، لا تستطيع أن تحيط بما يحدث سببا، تحاول أن تبصر شيئا، تحاول أن تصل إلى ما لم يبصروا به، غلالة معتمة تجثم على عينيك، تتراءى لك صورٌ باهتةٌ، تبزغ من خلف الغمامة ثم تتلاشى، كل مرة تحاول الإمساك بها لا تقبض عيناك على شيء، أهو ميلاد جديد؟ أتُراك في أيامك الأولى قبل أن تنشط ذاكرتك البصرية؟ أم تُراها مَن ولدتك جمَّدت نموك، فصرت محصورا في تلك الخانة التي لا تؤدي إلى شيء؟ حتى في

ذلك الطور كان من المفترض أن تعيش في طور لَذَّتِكَ، لا يُهِمُّك شيءٌ عن العالم، لكنك لا تستلذُّ بشيء، ولا تستطيع صَرْفَ ذهنك عما يدور، تحاول أن تُخْرِجَ "فيشتك" من مكمنها حتى ينقطع تيارك للحظات تستطيع بعدها أن تبدأ من جديد وتتغاضى عن رسالة الإغلاق الخطأ، لكن محاولتك لا توصلك إلى شيء، تنظر واجما إلى شاشة ذاكرتك، تراها لا تعرض سوى رسالةٍ واحدةٍ لا تتغير:

- خطأ في النظام

ما مدى مسئوليتك عن النظام؟ سؤال تطرحه ثم تحاول النهوض من أمام الكمبيوتر، ولكن... تصلك رسالة على بريدك الإلكتروني:

- لقد سجَّلْنَاكَ في النظام ولا يَحِقُّ لك حذفُ اسمك لأنك بدخولك على النظام وافقتَ ضمنيا على القوانين التي تحكمه

تحطم شاشتك، لكن الرسالة لا تختفي، تتراءى لك في كل ركن من عالمك الصغير... لا تملك إلا أن تعيد تشغيل الجهاز...

- أي جهاز بالضبط يا صديق؟ انهض الآن، جهّز لنفسك كوبا من النسكافيه، اشرب النسكافيه على مهل مغمضا عينيك حتى تحتفظ بمناشطه في خلايا مخك، ودع أبخرتك تتصاعد...

10 مايو 2006

مقاطع من يوميات راكب تاكسي

- أهلا بك في وطنك الثاني. ايش يسوي الطلاب في هذي الكلية ؟ كان زمان يطلعوا منها يلقوا وظيفة ، وها الحين ما عادت فيه وظائف ولا شيء، وإن لقوا شيء فيكون خارج المدينة، 200 كيلو، 500 كيلو، وقد يكون أبعد من ذلك...أنت دكتور؟ تبارك الله، لا يبدو عليك شيء، الدكتور شعره شايب، وأنت ما في شعرة واحدة شايبة في رأسك، كيف تأخذوا الدكتوراه عندكم في مصر؟...

- قربان الطالع

- وين في قربان؟

- عند صحارى طيبة

- أنت مهندس هناك؟

- لا، أنا دكتور في هذه الكلية

- تبارك الله، أنتم يا مصاروة فالحون، دكاترة ومهندسين و... هنا ما فالحون، ما في دكاترة ولا مهندسين ولا شيء

- لا، أبدا، يبعثون ها الحين الطلبة لأمريكا وبريطانيا واستراليا وكندا بعثات يأخدون ماجستير ودكتوراه، ويرجعوا يدرّسون هنا، يعني خمس سنين وتلقى بلدكم كلها دكاترة

- وحتى لو طلعوا الخارج ما سيأخذون شيئا، لما لا تشتري سيارة؟

- لم أتعلم القيادة بعد، منتظر أجازة نصف السنة عشان أتعلم السواقة، وأطلّع رخصة

- أنا ممكن أعلمك السواقة، الحمد لله أسوق منذ عشرين سنة والحمد لله ما حدثت لي حادثة واحدة، والرخصة تروح تطلعها من تبوك لأنها هناك أسهل من المدينة، إلا إذا لقيت لك واسطة كبيرة، أكيد

دكتور وتعرف واسطة، خد رقم جوالي واتصل بي بعد الأسبوع القادم وأنا أعلمك ... ماذا تخرِّج كلية المعلمين هذه؟ هي كلية إعداد معلمين أم مدرسة أم ماذا؟

- كلية عادية مثل أي كلية
- وكم عدد السنين فيها؟
- 4 سنين مثل أي كلية
- أيعطون رواتب للطلبة؟
- يعطون رواتب للطلبة الذين تقديراتهم أكبر من 2
- هل الكلية توفر سكن للطلبة الذين ليسوا من المدينة؟
- لا، لا يوجد سكن حتى الآن، الطلبة الذين من خارج المدينة بييجوا بسياراتهم...

***

- انت مصري؟

- ايوة أنا مصري من الصعيد.
- تعرف مصطفى
- مين مصطفى؟
- مهندس من الصعيد شغال معانا في الفندق.
- للأسف ما بعرفوش لأن الصعيد كبير.
- انا عاوز اتعلم انجليزي، تعلمني؟
- عاوز ايه في الإنجليزي بالضبط؟
- عاوز أتعلم أقرأ وأكتب وأتكلم في أي حاجة بالإنجليزي.
- ممكن.

***

- يا أخي ما عادت هناك أخلاق ولا أدب، التليفزيونات الأجنبية علمت الناس قلة الأدب والأخلاق السيئة. قلت لأخويا سلفني فلوس ما

رضي يسلفني شيء، ومسك الفلوس في يده قدام عيني وقال لي مش هأعطيك، واحد جارنا كتب البيت باسم مراته، ومراته كتبته باسم ابنها، وباعه الابن، ولما اخوته اشتكوا، الأم قالت في المحكمة انها باعت البيت لابنها وقبضت فلوسه والمحكمة خدت بكلام الأم...

20 **شوال 1426**

22 نوفمبر 2005

استرداد

قال:

- أنا على استعداد لأن أذهب معكم.

ربما كانت نبرته تقول إنكم لن يسمع لكم أحدٌ صوتا أو يُنظر لطلبكم بصدر رحب. ربما كان يقصد استهزاء، أو تهكما، وربما كان حَسَنَ النية، جادًّا بالرغم من جواز سفره. أخذتَ كلامه على محمله الحرفي. ابتسمتَ في وجهه تلك الابتسام التي تتعمد أن تكسب بها صدقةً من وجه أخيك، وشكرتَه بحرارة. انصرفتَ مستجمعا قدرا من دمك المحروق. لا بد أن تكتب طلبا. تذكرتَ مسلسل الأطفال "الفسحة" الذي يشاهده أطفالك:

- أعمل تحتك ثلاث سنوات ولم تمنحني اسما، في حين أنه جاء منذ ثلاثة أيام ونال اسما ولم يعد نكرة!

- ولِمَ لم تعترض؟...

تُسْرِعُ إلى زملائك العرب والهنود. الموضوع:

- طلب مساواة في الراتب. لا بد أن نختمه بفقرة تدل على الاستعطاف وأن ذلك تَكَرُّمٌ منه. لا بأس إلى حين.

تكتبه على جهاز الكمبيوتر. تعرضه على زملائك. يراجعه كل منهم. تحذفون كل عبارة أو كلمة مستفِزَّة. لا بد أن يكون حياديا بأكبر قدر ممكن مع تكرار كلمة "معاليكم". توجِّهُونه إلى مدير الجامعة. لكنكم تتركون مساحة أسفله لتوقيع رئيس القسم والعميد. تتوجهون به إلى أولهما. يحدِّقُ في الطلب. يقرأه عشرات المرات. ينظر إليكم من وراء نظارته متشككا. يأمركم أن تتركوه ليدرسه على مهل. يطلبكم في اليوم التالي. يبلّغكم أنه لن يوقع على الطلب. لا يُبدي سببا. تتجهون إلى وكيل الكلية:

- زاد راتب زملائنا الأجانب 100% ونحن ندرّس مثلهم باللغة الإنجليزية في نفس القسم.

تقولون "الأجانب" عامدين، بالرغم من أنكم يُطْلَقُ عليكم "الأجانب" أيضا. ربما تحاولون أن تستعطفوه أو

تثبتوا له أنكم مثله وهل يرضى أن يهدر أحدٌ حقَّه؟ تجدونه مبتسما:

- مادامت الجامعة وافقت لهم فستوافق لكم بإذن الله.

يلفت انتباهكم إلى الطريقة الصحيحة لتوجيه الخطاب.

- لا بد أن توجهوه للعميد وهو يرفعه بمذكرة لمدير الجامعة أو الجهة المختصة.

تنتظرون الحصول على إفادات تجديد العقود للسنة القادمة. تعيدون صياغته. توقّع عليه. تدور على قاعات الامتحانات لتجمع توقيعات الموجودين من زملائك. تنتظر الغد لإكمال التوقيعات. تبتسم. تقرر رفعه إذا رفض العميد. تتراءى شاشة مسلسل "الفسحة" في كل مكان أمامك وأنت تُسرع لاستلام أوراق الأسئلة واللحاق بفترة الاختبارات الثالثة.

2007

عن المؤلف

ولد جمال محمد عبد الرؤوف محمد الجزيري في 2 أغسطس 1973 بجهينة، محافظة سوهاج، مصر. كاتب قصة وشاعر وروائي ومترجم وكاتب مسرح وناقد ودكتور جامعي. بدأ مشواره الأدبي في عام 1991. تخرج في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بسوهاج 1995. حصل على الماجستير من قسم اللغة الإنجليزية بآداب القاهرة 1998عن رسالة بعنوان "تحولات المنظور في شعر روى فولر1936 – 1961"، ثم على الدكتوراه من قسم اللغة الإنجليزية بآداب عين شمس عام 2002 عن رسالة بعنوان "جوانب السرد في شعر روجر ماكجوف 1967 – 1987". يعمل منذ عام 1999 بقسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية بالسويس، جامعة السويس بمصر وانتقل بعدها ليعمل بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في نفس الجامعة، ويعمل حاليا بقسم اللغات والترجمة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة. وقام في يناير 2014 بتأسيس مجموعة سنا الومضة القصصية على الفيسبوك بالاشتراك مع الأستاذ عصام الشريف (مصر) والأستاذ عباس طمبل (السودان)، وهي مجموعة تعني بشئون الومضة القصصية نظريا وتطبيقيا ونقدا وإبداعا. كما قام في شهر مايو 2014 بتأسيس دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني. وقام في أكتوبر 2015 بتأسيس دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني مع الأديب محمود الرجبي.

الاسم بالكامل: جمال محمد عبد الرؤوف محمد

اسم الشهرة والنشر: جمال الجزيري

الجنسية: مصري

المهنة: دكتور جامعي، تخصص الأدب الإنجليزي

البريد الإلكتروني: elgezeery@gmail.com

جـوائــز

* المركز الأول في القصة القصيرة من جامعة جنوب الوادي 1995

فهرس